المؤامرة

. أحمد سويد* .

« مؤامرة مؤامرة
إنتبهوا للمؤامرة! »
وتُستنفرُ الخنادقْ.
وتشرئبُّ البنادقْ.
وتحتشد البيارقْ.
وتُقرع الطبولُ، وتصهلُ الخيولُ
وتنقدح الحوافرُ
كيْلا تمرّ المؤامرة.
وتزأر الخُطَبُ الصواعقُ:
« قسمًا لن تمرّ. »
وتنشّق حناجرُ الإذاعاتِ:
« قسمًا لن تمرّ. »
وتجأر غاباتُ القبضاتِ:
« قسمًا لن تمرّ. »
وتهدر المهرجاناتُ والتظاهراتُ واليافطاتُ:
« قسمًا لن تمرّ. »
وتقوطب المسيراتُ الظافراتُ للمؤامرةِ
كيلا تمرّ.
ويصطفّ القادةُ متشابكي الأيدي
كي يعلنوا منتفشين كديكة الصباح:
« أيَّتُها الجماهيرُ الصامدةُ الصابرة
إطمئنوا!
لقد طوّقْنا المؤامرة.
صرعناها، قبرناها
وها نحن ننفض عن راحاتنا ترابَ المقبرة.
وزيادةً في الحيطةِ،
لا بأس من إقفال النوافذ؛
فللمؤامرةُ ـ كما يقولون ـ
سبعُ أرواحٍ كالقطط الشريرةْ.
أقفلوا النوافذَ كيلا تتسلّل إحدى خبائثُها.
عَلّوا الأسوارَ كيلا تتسلّقَها إحدى أرواحها،
وليَعْضدِ الضلعُ أخاه،
ولتلتصقِ الكتفُ بالكتف، والمنخرُ بالمنخر،
وليلتفّ الساعدُ بالساعد،
لنغدو السورَ الممتنعَ الواقي الذي لا تستطيع أن تنطَّ من فوقه القطط،
والواحدَ المتوحّد المتّحد الذي لا تجزؤه المكائدُ، ولا تقتحمه المؤامرةْ. »

❖

آه ما أروعنا:
تَعْجبنا التجاربُ فنتعلّم منها المزيدَ من الغباءْ
تَسْحقنا الفواجعُ فتَنْشط عندنا موهبةُ الندبِ،
نوحِّدنا المعاركُ فيمزِّقنا زهوُ الانتصاراتْ.

❖

آخ:
هذا خِنجرُ أخي يغوص في لحمي.
هذي سكّينُه تغور في صدري.
هذا رشاشُ رفيقي يَحْرثُ ظهري.
هوذا عنقُه ثعبانٌ يلتفّ حول عنقي.
وهي ذي سلالاتٌ عجيبةٌ من الأفاعي تندلق من بطني لتزنِّر عنقَه.
هوذا العدوُّ المشترك يتقمّصنا فجأةً،
فنتناهشْ، نتعارك، نتذابحْ، نتراشقُ بجماجمنا
ثم نقف على قبرنا المشتركِ صائحين:
« إنّها المؤامرة.
اللعنة على المؤامرة.
اللعنة على صانعيها.
اللعنة على أدواتها.
اللعنة، اللعنة، اللعنة. »

❖

مَنْ يجرؤ على الوقوفِ فوق رموسنا ليَهْمس:
« بل قولوا: اللعنة علينا
لأنّنا نحن، نحنُ المؤامرةْ. »

بيروت

* ـ محامٍ وشاعر ونائب سابق من لبنان